القسم الثاني

أمهات مصادر التفسير

ماذا نعني بقولنا: "مصادر التفسير"؟

المراجعُ الأصلية الأولية التي يعتمد المفسرون عليها في محاولة التعرف على مراد الله عزوجل، وتعريف الناس به، فهي الينابيع الأولى التي تمدك بالمعنى الذي تريد فهمه في كلمة قرآنية.

لماذا قلنا: (المراجع الأصلية الأولية)؟

لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعد مصادر باعتبارها تضم كلام المفسرين المستنبطين للمعاني التفسيرية من المراجع الأولية، فالكلام ليس عنها؛ فإن كنت تقول: من مصادر التفسير: كتاب الطبري نقول لك: ليس كلامنا عن ذلك، وإنما كلامنا عن المصادر التي رجع إليها الطبري.

وهذه المصادر سماها ابنُ تيمية (ت٧٢٨هـ): طرقَ التفسير،

وسماها الزركشي: أمهات مآخذ التفسير

تنقسم أمهات مصادر التفسير إلى نوعين:

الأول: المصادر الأصلية للتفسير

الثاني: المصادر التبعية أو ما يقال عنها مصادر وليست كذلك بدقة، وأشهرها: أقوال التابعين، والنقل عن أهل الكتاب

الفصل الأول

المصادر الأصلية للتفسير

ذهب ابنُ تيمية (ت٧٢٨هـ) إلى أن أحسنَ طرقِ التفسير خمسة: القرآنُ، والسنةُ، وأقوالُ الصحابة رضي الله عنهم، وأقوالُ التابعين، وعموم لغة العرب،

وذهب الزركشي إلى أنها خمسة بحذف الأول، وإضافة الاجتهاد في الأخير

وعند دمج ما ذكره ابنُ تيميةَ والزركشيُ مع ما قرره علماء التفسير يتحرر لنا أن المصادر خمسة:

وضعَ ابن تَيْمِيَّةَ قاعدة لكون مرجعِ ما مصدرًا للتفسير: قاعدة: «العلم إما نقلٌ مُصَدَّقٌ عن معصوم، وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم، وما سوى ذلك فإما مُزَيَّفٌ مردود، وإما موقوفٌ لا يُعلَم أنه بَهْرَجٌ، ولا منقود»

وأنت ترى أن هذه العبارةِ المحكمة يمكن تعميمها لتشمل العلوم الماديَّة فضلاً عن سائر العلوم الشَّرعِيَّة، وصاغ ذلك الشيخ الطالب زيدان –وفَّقه الله تعالى-:

والعِلْمُ نَقْلٌ صادِقٌ عن مَنْ عُصِمْ
أَوْ مَا مِنَ القَوْلِ دَليلُه عُلِمْ

وهل يعني ذلك أن الاجتهاد لا يدخل في النَّقل المُصدَّق؟
الجواب: لا! بل الصحيح أن الاجتهاد جُمْلَةً يدخل في مصادر التفسير عمومًا، مثل دخوله في بعض الجزئيات كرَبْط آية بآية، فإن الرَّبط اجتهادٍ على ما هو معلوم، وقد يصيب وقد يخطئ إلا أن يأتي الرابط بين الآيتين بنصٍ معصوم،

وهنا قد تتساءل: فأين الإجماع من مصادر التفسير؟

الجواب: الإجماع ليس مصدرًا للتفسير ولكن تُقَيد الأقوالُ التفسيرية جميعُها بقيد عدمِ مناقضةِ الإجماعِ، لا بقيد عدم إحداث قولٍ أفاده الكلام الإلهي:

وصاغ ذلك الشيخ الطالب زيدان -وفقه الله تعالى-

وقَيِّدِ القولَ بأن لا يَقَعا ❖❖ على خلافِ ما عليْهِ أُجْمِعا

فآية الكلالة هي قوله تعالى: ﴿يَستَفتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفتِيكُم فِي الكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ذكر الله تعالى الإخوة هنا، وأجمع المفسرون على أن المرادَ بالإخوة فيها: (الأعيان) أي الأشقاء، والإخوة (لعَلّات) أي لأب، فلا يمكن أن يجتهد مجتهد فيدخل فيهم (الأخياف) ها هنا، وهم الإخوة لأم؛ فلا يدخلهم لأن ذلك ينقض الإجماع.

ما الفرق بين الإجماع في أصول الفقه وفي علم التفسير؟

الجواب: الإجماع في التفسير ليس مصدرًا كما في أصول الفقه، ولكنه شرطٌ (ضابط) في التفسير، ولذا ترى الطَّبَرِي يعبِّر عن ذلك بقوله في مواضع متعدِّدة: "وليس هذا قولاً نستجيز التَّشاغُلَ بالدلالة على فساده، لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل"

وربما تتساءل: قول الطَّبَرِيِّ يناقِض القاعدة التي أَقْرَرتَها، فظاهرُه أنه يمنع إحداثَ قولٍ جديد، فكيف الجواب؟

الجواب: بالسبر لتفسيره والمراجعة لتطبيقاته في بيان الآيات ترى أنَّ قولَه هذا لا يعني ألا يجتهد المرء وَفْقَ الأصول المَرْعِيَّة؛ لإظهار صورةٍ داخلة ضمن الآية لم يُنَبِّهْ عليها الأقدمون، كما سيأتي في المصدر الخامس إن شاء الله، إنما عَنَى ذِكْرَ قولٍ يناقِض الأقوالَ السابقة المعتبرة في معنى الآية.

تقرير حبر القرآن لأمهات مآخذ التفسير

هل ما قرره المتأخرون حول (أمهات مآخذ التفسير أو المصادر الأولية للتفسير) انفردوا به أم قاله من قبلهم؟

لم يكن تقرير المتأخرين كابن تيمية والزركشي -رحمهما الله- لأمهات مآخذ التفسير بدعًا من القول، بل سبقهم إلى ذلك السلف رحمهم الله تعالى، وأنموذجهم الأعلى حبر القرآن ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فكان إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ -أي في معنى الآيات أو في واقع الحياة- فَكَانَ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ، وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهم، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ

ففي هذا التطبيق لابن عَبَّاس رأينا أنه يرجع إلى مصادر التفسير التي ذكرناها

المصدر الأول

(القرآن العظيم) تفسير القرآن بالقرآن

يتضمن ٤ مباحث

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

ويندرج تحته أربعة مباحث

1. سبب جعل تفسير القرآن بالقرآن من أمهات مصادر التفسير
2. من صور تفسير القرآن بالقرآن
3. مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن
4. أهم الكتب التي تعرضت لهذا النوع من التفسير

قاعدة

القرآن يُصَدِّقُ بعضُه بعضًا، فلا تناقضَ ولا اختلافَ تعارض

لا يمكن أن يوجد فيه التناقض في الصورة الكلية، ولا يمكن أن تجد فيه تعارضًا في مجموعه، وبما أنه يصدق بعضه بعضًا، فبعضه شاهدٌ لبعضه، فنلتمس تفسير بعضه في بعضه الآخر

ما الدليل على هذه القاعدة؟

1

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] فوجود التناقُض ينفي الصدق، ويبيّن ذلك مجاهدٌ في قوله تعالى مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ[آل عمران: ٧]، فيقول عن المحكمات: "ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو متشابهٌ يصدِّق بعضُه بعضًا"، فجعل المتشابه ما لم يتَّضح معناه تَمامَ الاتضاح في موضع من القرآن، لكنك تجد معناه في موضع آخر

2

قوله تعالى ذكره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢] وقعَّد الأستاذ محمد عبده لبيان ذلك آخِذًا أصل الفكرة عن السابقين كابن تَيْمِيَّةَ وابن كثير فقال: "والأحسن أن يُفهَم اللَّفظ من القرآن نَفْسِه بأن يَجْمع ما تكرَّر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استُعمل بمعان مختلفة، كلفظ الهداية وغيره، ويحقِّق كيف يتفق معناه مع جُمْلَتِه من الآية، فيَعرِف المعنى المطلوب من بين معانيه"

ما الدليل على هذه القاعدة؟

3

أن القرآن مثاني يصدق بعضها بعضًا، ومما يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] إذ من معانيها المعتبرة: محمَّد كان على بيِّنة من ربِّه، وأعظم بيِّنة: القرآن، ويتلو محمدٌ شاهدٌ من القرآن، فالقرآن شاهد على نَفْسِه بالإعجاز

4

صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرفُ به من غيره، وصاحب الكلام هنا هو الله اللطيف الحكيم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علمًا، لا يعزب عنه شيء علمًا وخبرة وقدرة

5

ترى أن النبي ﷺ قرر تفسير القرآن بالقرآن عند التدبر، وجعل ذلك قانونًا كليًّا يحكم فهمنا للقرآن وهنا نذكر إحدى أنفع القواعد التي قعَّدها النبيُّ لفَهْم القرآن، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مهلاً يا قوم. بهذا أُهلِكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم، وضَرْبِهم الكُتُبَ بعضَها ببعضٍ. إن القرآن لم يَنْزِل يُكَذِّبُ بعضُه بعضًا، إنما نزل يُصَدِّق بعضُه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فَرُدُّوه إلى عالِمِه»

من صور تفسير القرآن بالقرآن

الصورة الأولى

المقابَلة بين الإيجاز والإطناب

المثال الأول

قصة آدم عليه السلام وإبليس، فقد جاءت مختصرةً في بعض المواضع، كما في سورة الكهف، وجاءت مُسْهبةً مطولةً في مواضع أخرى، كما في سور البقرة، والأعراف، والحجر، وطه، وص مع فروق ظاهرة بين هذه السور، فإذا جمعتها وجدتها تكمل المشهد الكلي.

المثال الثاني

أن يُذْكَرَ شيءٌ في موضعٍ، ثم يقعَ عنه سؤالٌ وجواب في موضع آخر، مما يزيده وضوحًا وتفصيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فقد وقع عنه سؤال وجواب في موضع آخَرَ، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤] وما بعدها.

الصورة الثانية

أن يُحْمَلَ المُجْمَلُ على المبيَّن ليُفَسَّر به

النوع الأول

متصل

يقع البيان في المكان ذاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾، فلم نفهم معنى الخيطين بصورة واضحة، فبَيَّن الله المقصود بالخيطين بقوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ ففهمنا أنه يعني الليل والنهار.

النوع الثاني

منفصل

ومنه بيان العهد المأخوذ على بني إسرائيل المذكور في سورة البقرة في قوله تعالى جده: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] حيث بينه في سورة المائدة في قوله تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾ [المائدة: ١٢]

الصورة الثالثة

حمل المطلَق على المقيَّد

المثال الأول

كما في قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]، فإنه قيد إطلاق قبول التوبة بقوله تعالى مجده: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٨]

المثال الثاني

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ (المائدة: ٥) مقيد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

الصورة الرابعة

حمل العام على الخاص

المثال الأول

مثل نفي الخُلّة والشفاعة على جهة العموم في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ وقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله عزَّ جاره: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ واستَثْنَى ما أُذِن فيه من الشَّفاعة بقوله تعالى جَدُّه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]

المثال الثاني

كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ فهذا عموم يشمل كل والد: مسلمًا كان أم كافرًا في الحياة وبعد الممات، وقد خصص الله ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ فخرج بهذا الاستغفار للأبوين الكافرين بعد مماتهما، وظهر أن المراد بها الأبوان المؤمنان، وأما في حياتهما فيجوز الاستغفار، والدعاء بالرحمة لهما.

الصورة الخامسة

بيان ما ورد مجملاً في موضعٍ بما ورد مفصلاً في موضعٍ آخر

المثال الأول

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[البقرة: ٥١]. لم يبين في هذا الموضع هل كانت هذه الليالي مجتمعة أو متفرقة، لكنه تعالى مجده بينها في موضع آخر بقوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾[الأعراف: ١٤٢].

المثال الثاني

وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾[النساء: ٤٢] فصَّل الله ﷻ تمنيهم، فأخبر أنهم يتكلمون به في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

أنواع المجمل

1

الإجمال من حيث الاشتراك في الاسم

﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ فإن ﴿ٱلۡعَتِيقِ﴾: كلمة مشتركة بين ثلاثة معانٍ:

القديم، أو المُعْتَق من رِقِّ الآخرين،

أو العتيق بمعنى الكريم

2

الإجمال من حيث الاشتراك في الفعل

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وبيَّن الله أن المعنيين مُرادان في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]

3

الإجمال من حيث الاشتراك في الحرف

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ فإنَّ "الواو في قوله: وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ مُحْتَمَلة في الحرفين؛ أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية. وبيَّن في قوله: وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ أنه معطوف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وأن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ استئناف،

البيان بمنطوق أو بمفهوم

1 بيان المنطوق بمثله

كما في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، ففسَّرت آية أخرى "الذي يتلى علينا"، وهي قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ... الآية ٣ من السُّورة نَفْسِها.

2 بيان المنطوق بمفهوم

كما في قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ... [المائدة:٣] في المائدة، فمَنْطُوقُها يَشْمل جميعَ أنواع الدِّماء، وبيَّن الله هذا المنطوق العامِّ بمفهوم قوله في سورة الأنعام: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥] أن غير المسفوح ليس بمُحَرَّم

3 بيان المفهوم بمنطوق

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] مَفْهُومُه أنه ليس بهُدًى لغيرهم، لكنَّ الله أخبرنا في مواضع أخرى أنه: هدى لغير المتَّقين من المؤمنين، وليس بهُدًى لغير المؤمنين في قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾

4 بيان مفهوم بمفهوم

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ [المائدة: ٥]، المقصود بالمُحْصَنات الحرائر العفيفات، ودلَّ هذا المنطوق على مفهوم هو: تحريم الأَمَةَ الكتابيَّة في النِّكاح، ويؤكِّد ذلك مَفْهُوم قولِه: وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ [النساء: ٢٥]

الصـــورة السابعة

تفسير لفظة غريبة؛ ويتم هذا التفسير إما:

بلفظة أشهرَ منها

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، فسر كلمة (سجيل) بالطِّين في قوله تعالى: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ [الذاريات:٣٣]، هذا ما ذكره بعض المفسِّرين، ويظهر لي أن (السجيل) يختلف شيئًا ما عن الطِّين، فالأصل تقارب المعنيين لا ترادفهما بالضرورة

بآية تبين المراد أو بعضَ المراد

فقوله: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾[الأنبياء: ٣٠] فالفتق فصل، والكلام هنا عن السماوات والأرض، وذكر بعض المفسرين أن هذا الفتق جاء بيانه في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق ١١-١٢] فرجوع المطر إلى الأرض من السماء كأنه تَشَقُّقٌ حَدَث في سُحُبِها، ترتَّب عليه نزول الماء، وتصدُّع الأرض للنَّبات كأنه فَصْل، فهذا الفَصْل المذكور في سورة الأنبياء بيَّنته هاتان الآيتان في سورة الطارق

تفسير القرآن المجيد بالقراءات القرآنية الثابتة

قاعدة 1

القـــراءات الثابتـــة المتغـــايرة توضـــح إحـــداها الأخـــرى في المعنى، أو تؤسس معنى جديدًا، فهـي تقـوم مقـام الكلمـات أو الآيات المتعددة

من واجبات المفسر كما يقرر الطاهر بن عاشور: "أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيرًا لمعاني الآية غالبًا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"

وقرر الشنقيطي ذلك فقال: "اعلم أولاً أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء"، فذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أمثلة على تفسير القرآن المجيد بالقراءات

المثال الأول

(مَلِكِ، ومَالِكِ) قراءتان ثابتتان في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وهما تتآزران على توضيح الصورة العامة المعظِّمة لله -تعالى مجده- في كونه ملكًا ومالكًا ليوم الدين.

المثال الثاني

قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] برفع المجيد قراءة الجمهور وصفًا لله تعالى، وبخفضه قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر وصفًا للعرش.

أمثلة على تفسير القرآن المجيد بالقراءات

القراءات غير المتواترة:

ما الفائدة التي يمكن أن نجتنيها من القراءات غير المتواترة؟

يذكر بعض علمائنا هنا عددًا آخر من القراءات غير المتواترة، مثل قراءة ابن مسعود (:Eأو يكون لك بيت من ذَهَب)

القراءة غير المتواترة لا تفسِّر المتواترة، بل تُنْبِئ عن تفسير ورد عمَّن رُوِيت عنه إن ثبت ذلك عنه، وحُكْم هذا التفسير هو حُكْمه عندما نُرْجِعه إلى المصادر الخمسة.

ليس ما ذكروه من التفسير صحيحًا، فيمكن أن يُوْجَّه التعبير عن الذَّهاب إلى الجُمُعة بالسِّعي في القراءات المتواترة توجيهًا سديدًا

أمثلة على تفسير القرآن المجيد بالقراءات

قاعدة 2

القراءة الشاذة حال صحة سندها تنزل منزلة خبر الآحاد، وتعد مفسرة للقرآن

قاعدة 3

الاستشهاد بالقراءة الشاذة: لا يستشهد بالقراءة الشاذة على أنها قرآن، وإنما هي تفسير لها حكم التفسير؛ فإن صحت عن النبي فهي تفسير نبوي، وإن صحت عن غيره نسبت إلى غيره

مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن

هل تفسير القرآن بالقرآن حجة مطلقًا؟

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلو من أربع حالات:

الحالة الأولى

أن يكون طريقُهُ النقل عن النبي ﷺ فهو حجةٌ مطلقًا في فهم الآية ما دامت الرواية مقبولةً وفق قوانين علم الحديث

مثل تفسير الظلم الوارد في سورة الأنعام

مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن

هل تفسير القرآن بالقرآن حجة مطلقًا؟

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلو من أربع حالات:

الحالة الثانية

أن يكون الاستدلال صريحًا واضحًا لا يحتمل اللبس في أنه تفسير لكلمة قرآنية ببيان قرآني آخر، فهو حجةٌ بينة بغض النظر عن قائله

كتفسير كلمة (العالمين) في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الفاتحة: ٢] بـ**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ...﴾ **[الشعراء ٢٣-٢٨]، فحال الاستدلال هنا كحال المُبين المُتَّصل في مِثْل أول سورة الطارق**

مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن

هل تفسير القرآن بالقرآن حجة مطلقًا؟

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلو من أربع حالات:

الحالة الثالثة

أن يكون طريقه النقل عن غير النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم

كتفسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ حيث قال: (يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) -عنى بذلك: يُقْرَن به- ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢]، فالكلام في قوله: ﴿زُوِّجَتْ﴾ عن قَرْن النَّظير بنظيره، وليس عن الزَّواج بمعنى النِّكاح، فهذا التفسير يرجع إلى تفسير الصحابة، فنطالع المصدر الثالث لتحديد حجيته من عدمها

مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن

هل تفسير القرآن بالقرآن حجة مطلقًا؟

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلو من أربع حالات:

الحالة الرابعة

أن يكون طريقه النقل عن غير الصحابة من التابعين فمن بعدهم، فيقول أحدهم مثلاً: بين الله هذه الآيةَ في قوله...، ويذكر الموضعين: المستدَلَّ له، والمستدَلَّ به

في هذه الحالة: يكونَ محلَّ نظر، فهو لا يزيد على أن يكون اجتهادًا من صاحبه، فتنزل عليه ضوابط الاجتهاد

مدى حجية تفسير القرآن بالقرآن

لماذا لم يعدَّ الزَّرْكَشِيُّ (تفسير القرآن بالقرآن) من أمَّهات مآخذ التفسير؟

الجواب: لم يُدْرِج الإمام الزَّرْكَشِيُّ هذا المصدرَ ضمن أمَّهات مآخذ التفسير؛ وربما يعود ذلك لهذا الاحتمال الذي قرَّرته قبل قليل، فحقيقة تفسير القرآن بالقرآن يعود إلى أحد المصادر التالية له، وذهب د/الطَّيَّار إلى أن المفسِّرين تسامحوا في إدراج كثير من الأمثلة السابقة تحت هذا البَنْد: تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الرابع أهم الكتب التي تعرضت لهذا النوع من التفسير

1. **ابن جرير الطبري**
   جامع البيان عن تأويل آي القرآن
2. **الحافظ ابن كثير**
   تفسير القرآن العظيم
3. **محمد بن إبراهيم الوزير**
   لم يؤلف فيه كتابًا مستقلاً
4. **إبراهيم بن محمد الأمير**
   مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن
5. **محمد الأمين الشنقيطي**
   أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
6. **عبد الحميد الفراهي**
   تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

المصدر الثاني

(السنة النبوية) تفسير القرآن بالسنة

يتضمن ١١ مبحثاً

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

المصدر الثاني

(السنة النَّبَويَّة) تفسير القرآن بالسنة

ويندرج تحته عدَّة مباحث:

- المبحث الأول: أسباب جَعْل السُّنَّة مصدرًا من مصادر التفسير
- المبحث الثاني: مكانة هذا المصدر وحجِّيته وأهمِّيَّته.
- المبحث الثالث: الردُّ على شبهة يتطاول بها الطاعنون في السُّنَّة النَّبَويَّة.
- المبحث: الرابع: الكُتُب التي اهتمَّت بهذا المصدر، والمؤلِّفون في التفسير النَّبَوي.
- المبحث الخامس: التفسير النَّبَوي وكُتُب السُّنة النَّبَويَّة.
- المبحث السادس: نوع التفسير الوارد في كتب التفسير التي في كتب الحديث..

المصدر الثاني

(السنة النَّبَويَّة) تفسير القرآن بالسنة

ويندرج تحته عدَّة مباحث:

- المبحث: السابع المراسيل في التفسير.
- المبحث الثامن: وجوه تفسير السنة النَّبَويَّة للقرآن الكريم.
- المبحث التاسع: مقدار التفسير النَّبَوي للقرآن الكريم.
- المبحث العاشر: حكم أن يفسِّر أحد آية قد فسَّرها النبيُّ
- المبحث الحادي عشر: مكانة التفسير النَّبَوي فيما جاز فيه الاستنباط بعد تفسير النبيِّ

المبحث الأول أسباب جعل السنة مصدرًا من مصادر التفسير

لماذا لا نفسر القرآن بالقرآن ونترك ما عداه؟

الجـــــواب

1. لأنه ﷺ أُمِرَ بالبلاغِ المبينِ، والإبانة تشمل اللفظ والمعنى، كما قال تعالى: ﴿إِن عَلَيكَ إِلَّا ٱلبَلَغُ﴾

- إبانة لفظية: أن يكـــون لفـــظ النـبي ﷺ بـالبلاغ مبينًـــــــا
- إبانة معنوية: أن يُبين النبي ﷺ تأويـــل الكـــلام الذي أُمِر بتبليغه

2. لأن الله بين أن النبي ﷺ من وظيفته النبوية: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَبَ وَٱلحِكمَةَ﴾

أسباب جعل السنة مصدرًا من مصادر التفسير

بم فسَّر الإمام الشَّافِعِيُّ الحكمة؟ ولماذا اقترن ذِكْرُها بالكتاب؟

الجواب: قال الشَّافِعِيُّ " :فذَكَر الله الكتاب وهو القُرَآن، وذَكَر الحِكْمَة، فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرَآن يقول: الحكمةُ سنَّة رسول الله"، فـ "السُّنَّة مفسِّرة للقرآن وكاشفة لما يَغْمُضُ من معناه"، ونذكر بأن غموض المعنى عائدٌ لنقص الإنسان وكمال القرآن كما سبق

لماذا يجب الأخذ بالسنة بعد القرآن؟

الجـــــواب

3 لأن الحكمة هي البيان القولي والفعلي للقرآن المجيد، ولذا اقترنت به، فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾

4 لأن من القرآن ما لا يمكن أن يحدد معناه بدقة إلا رسول الله ﷺ، وقد قال الله لنبيه ﷺ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

5 لمكان هذا المصدر؛ ولأنه حجة شرعية عظيمة في الإسلام

المبحث الثاني

مكانة السنة وحجيتها وأهميتها

1 يمثل هذا المصدرُ أعظمَ المصادر التفسيرية للقرآن الكريم

2 التفسير النبوي إما أن يكون توقيفيًا، وإما أن يكون توفيقيًا فالنَّقْل التوقيفيُّ يعني أنَّ الله أوقف نبيَّه على المعنى المقصود، في تفسير القرآن الكريم، فهو وحي يوحى. والتفسير التوفيقيُّ يعني أن الله -جلَّ ذِكْرُه- وفَّق نبيَّه لاستنباطه وشرحه

3 أمر الله -تعالى ذكرُه- بقبول ما صدر عن النبي ﷺ إذ «مردُّ الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا الحالتين؛ إمَّا بالتعليم ابتداء، وإمَّا بالإقرار أو النَّسْخ انتهاء، ولذا وجب أن نتلقَّى سُنَّته بالقبول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾

4 حذر النبي من الذين يدعون إلى ترك سنته أو يشككون في وجوب قبول الثابت منها فقال ضِمْن خبرٍ غيبيٍّ معجزٍ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدتُّمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدتُّمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»

مكانة السنة وحجيتها وأهميتها

ما الفرق في تعاملنا بين التوقيفيِّ والتوفيقيِّ مما صَدَر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

الجواب: تقسيم ما صَدَر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذين القِسمين يدلُّ على تعدُّد أنواع الوحي التي أُمِرَ النبيُّ بتبليغها وبيانها، ولكن الأمر مُتَّحد في تعامُلنا مع القِسمين، كما يقول د: محمَّد عبد الله دِراز " : سواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القِسم أو من ذاك، إذ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغه صادق مأمون، وفي اجتهاده فَطِنٌ موفَّق، ورَوْحُ القدس يؤيِّده فلا يُقرُّه على خطأ"

1

الرد على شبهة يتطاول بها الطاعنون في السنة النبوية فهذا يعني أنهم يقبلونه، فيلزمهم أن يقبلوا سائر أحاديث النبي ﷺ، وفيها إلزامهم بالتشريعات النبوية في أمور الحياة، وإلا فيكون القبول تحكمًا بالهوى

2

أن قوله تعالى ذِكْرُه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ تحبونا بأهمِّ أسس الأمن القوميِّ بعد كتاب الله -تعالى ذِكْرُه- لا يمكن معرفة ما قاله الرسول ﷺ إلا بعلوم السنة، وذلك يعني أن تجعل الأمة للسنة النبوية المكانةَ الأسمى، وتحذر أشد الحذر ممن يطعن فيها أو في حملتها ونقلتها وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم

3

آيات القرآن أمرت بطاعة الرسول واتباعه، وذلك يعني أن السنة هي المفسرة للقرآن ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾

4

الرد على من يكتفي في الاستدلال بالقرآن دون البحث في تفسير النبي ﷺ القولي والعملي له، فقَوْلُهُ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّهُ مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّه

5

ويجب طاعة الرسول ﷺ فيما يبلغه، فقد قال الله ﷻ عن ذلك: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾"وَقد كَانَ رَسُول الله ﷺ مَأْمُورًا بِالْبَيَانِ للنَّاس قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

6

الآيات القرآنية الناهية عن معصية الرسول ﷺ ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

7 لا بد أن نميز بين الأنواع التي تصدر عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال

تصرفات تشريعية

وهي ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما هو للاتباع والاقتداءوهي إمَّا أن تكون:
تصرُّفاتٍ للتشريع العامّ:وهي تتوجَّه إلى جميع الأمَّة إلى يوم القيامة
وإمَّا أن تكون تصرُّفاتٍ للتشريع الخاصِّ:وهي مرتبطة بزمان أو مكان أو أحوال أو أفراد معيَّنين

تصرفات غير تشريعية

تصرفات غير تشريعية: وهي تصرفات لا يقصد بها الاقتداء والاتباع، مثل التصرفات الجِبلية العادية، والتصرفات الدنيوية التي لا تظهر قرينة على الاقتداء بها، ويدخل أيضا ما يقوله النبيُّ من أمور الدُّنيَا التي تعتمد على التَّجربة والخِبرة، فقد بيَّن النبيُّ المنهج التجريبيَّ في هذه الأمور

8

هذا معنى الحديث الذي أورده أصحاب هذه الشُّبهة، فعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ». فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ »مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا». فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فإني إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلاَ تؤاخذوني بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فإني لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ»

المبحث الرابع

الكتب التي اهتمت بهذا المصدر، والمؤلفون في التفسير النبوي

1. محمد بن أحمد بن القاسم أبو الحسن المحاملي
2. علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري
3. تفسير النبي لأبي الحسن محمد بن القاسم الفقيه

وجمع السيوطي في آخر الإتقان جملة صالحة من التفسير المرفوع إلى النبي ﷺ، وألف كتابه المشهور: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ومن أهم كتب التفسير بكل ما يتعلق بالمأثور:

تفسير الطبري

تفسير ابن أبي حاتم

الجهد المعاصر لمركز الشاطبي بجدة

التفسير النبوي وكتب السنة النبوية

أهم مصادر التفسير النبوي كتب السنة النبوية، وهي نوعين

المصنفات المستقلة

مثل: تفسير عبدِ بن حميد، وتفسير ابن مردويه، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري ومِنْ بعدهم ابن كثير، وأكبر كتاب جمعَ ذلك: (الدُّر المنثور) للسُّيُوطيِّ قبل الجهود المعاصرة

كتب السنة التي تفرد بابًا خاصًّا للتفسير

وقد خصص ابن الأثير في «جامع الأصول» مجلدًا للمروي عن النبي ﷺ في تفسير القرآن في الكتب الستة، وهي: صحيحا البخاري، ومسلم، وسنن: أبي داود، والتِّرمذي، والنَّسَائي، وموطَّأ مالك.

ما نوع التفسير الوارد في كتب الحديث؟

الجـــــواب

أراد أئمـــــة الســـــنةِ النبويـــةِ بالتفســـير فيمـــا أوردوه ضـــمن دواويـــنهم كـــلَّ مـــا كـــان لـــه تعلـــق بالســـورة أو الآيـــة، لا مجـــرد شـــرح المعـــاني

أورد البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ حديثَ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعَى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك -يا رب- فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمتُّه. فيشهدون أنه قد بلغ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾

قاعدة: يُكثُر الضعيف في الآثار التي تفسِّر القرآن:

وهذه الآثار قد تكون تفسيرًا وقد يُسَمَّى تفسيرُها قراءة، ولذا يجب تمييز الضعيف من الموضوع هنا، إذ يَكْثُر في التفسير ما لا أصل له كما قَعَّد لذلك الإمام أحمد، فقال: "ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير

هل هذا الكلام من الإمام أحمد eدقيق؟ وهل يعني ذلك أن ما ورد من تفسير أثري لا يصح منه شيء؟ فإنَّ لهذا التعميم تأويلين:

التأويل الأوَّل: أراد الإمام التنبيه إلى أنَّ كثيرًا من الروايات الواردة في التفسير يَغْلِب عليها الضَّعفُ والوضْعُ، فيجب تمحيصُها لمعرفة المقبول من المردود: الخطيب رضي الله عنه فقال: "وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أنَّ المراد به كتبٌ مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة غيرُ مُعْتَمَدٍ عليها، ولا مَوْثُوق بصحَّتها

وأما الكتب المُصَنَّفة في تفسير القرآن فمن أشهرها: كتابا الكلبي ومقاتل بن سليمان، -وذَكَر بإسناده- أن أحمد بن حنبل سئل عن تفسير الكلبي، فقال أحمد: من أوله إلى آخره كذب. فقيل له: فيحلُّ النظر فيه؟ قال: لا

ومن جملة التفاسير التي لا يُوْثَق بها تفسير ابن عَبَّاس

التأويل الثاني: ليس لكثير منها أسانيد صِحاح مُتَّصلة، كما قالٍ الزَّرْكَشِيُّ eفي توجيه كلامه: "قال المحققون من أصحابه: ومراده أنَّ الغالبَ أنها ليس لها أسانيد صِحاح مُتَّصلة وإلا فقد صحَّ من ذلك كثير ف" الغالب عليها أنها مُرْسَلة ومُنْقَطِعة" كما قرَّر ابن تَيْمِيَّةَ e

ما أشهر الأحاديث الموضوعة في التفسير؟

الجـــــواب

الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم"، وقال ابن الصلاح" :رُوِّينا عن أبي عصمة - وهو نوح بن أبي مريم - أنه قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حِسبةً

قاعدة

يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول، ومنه المردود

المطلب الأول

تعريف الحديث المرسل

مرفوع التابعي، وهذا التعريف حكاه العراقي في ألفيته، وأخذه عنه السيوطي كأول الأقوال في ألفيته

فتجد المفسرين يكثرون النقل مثلاً عن الحسن البصري أو عكرمة أو مجاهد أو عبد الرحمن بن زيد رحمهم الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قاعدة

يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول، ومنه المردود

المطلب الثاني

حكم الحديث المرسل

للمحدثين في حكمه ثلاثة أقوال: القبول مطلقًا، والرد مطلقًا، والتفصيل، فلنلخص التفصيل في الآتي

1 من علم من حاله أنه لا يرسل إلا عن ثقة

- التوقف
- القبول مطلقاً
- يقبل إن اعتضد بمجيئه من وجهٍ آخر يباين الطريق الأولى

المراسيل في التفسير

قاعدة

يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول، ومنه المردود

2

من عُرِفَ عنه بأنه يرسل عن ثقةٍ وغيرِهِ، فإرسالهُ روايةٌ عمّن لا يُعرَف حالُه، فحكمه التوقف عن قبوله، ومن أشهر أمثلته مراسيل الحسن البصري

3

ما أرسله الراوي مخالفًا لما رواه من هو أوثق منه حالاً أو عددًا فهو مردود

المراسيل في التفسير

قاعدة

يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول، ومنه المردود

المطلب الثالث

أشهر مراسيل الأمصار

قال الحاكم رحمه الله

وأكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عن سعيد بن المسيب، ومن أهل مكة عن عطاء بن أبي رباح، ومن أهل مصر عن سعيد بن أبي هلال، ومن أهل الشام عن مكحول الدمشقي، ومن أهل البصرة عن الحسن بن أبي الحسن، ومن أهل الكوفة عن إبراهيم بن يزيد النخعي

من أمثلة المراسيل الواردة في التفسير:

كيف تتعامل مع حديث الغرانيق؟

النوع الأول: مثال للمردود من المراسيل: قِصَّة الغَرانيق:

أولا: هذا الحديث لم يثبت مرفوعًا بهذه القِصَّةإذ حقَّق بعضهم أنَّ الرواياتِ الواردةَ في هذه القِصَّة كلَّها مُرْسلة عدا حديث ابن عَبَّاس ولكنَّ طُرُقَه كلَّها واهية

ثانيًا: على صِحَّة المرسل منها فالرفع غير مقبول بناء على التقعيد السابق

ثالثًا: القِصَّة منافية لعصمة الوحي

رابعًا: كيف سمع المشركون كلام الشيطان، ولم يسمعه النبيُّ ولا المسلمون؟!

خامسًا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ...﴾ [النجم: ٢٣]، فهذه الآية وما بعدها هاجمت اللَّات والعُزَّى ومَنَاة الثالثة الأخرى،

سادسًا: القِصَّة مُنْكَرَة المَتْن

سابعًا: لو صحَّ ذلك لتمسَّك المشركون بهذه القِصَّة في مجادلة النبيِّ o

ثامنًا: أصل سجود المشركين بعد النبيِّ o عند قراءة هذه السُّورة ثابتٌ في الصِّحاح،

المبحث الثامن

وجوه تفسير السنة النبوية للقرآن الكريم

تنحصر وجوه تفسير القرآن بالسنة في أربعة وجوه

1. تفسير القرآن بالقول النبوي
2. تفسير النبي المستنبطُ من القرآن الكريم احتمالا
3. تفسير أسباب النزول للقرآن
4. تفسيرُ القرآن بالسيرةِ والشمائل المصطفوية

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الوجه الأول

الصورة الأولى

أن يفسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن بالقرآن

عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الوجه الأول

الصورة الثانية

بيان المجمل: بأن ينص على تفسير آية أو لفظة

٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله في قوله ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة:٥٨] قال: «دخلوا مُتَزَحِّفين على أَوْرَاكهم»، وفي قوله ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة:٥٩] قال: «قالوا حَبَّة في شَعْرة»

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الوجه الأول

الصورة الثالثة

توضيح المشكل: بأن يشكل على الصحابة آية فيوضحها لهم ببيان أن النص عام خصصه نص آخر، أو مطلق قيده نص آخر، أو غير ذلك

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم».

الوجه الأول

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الصورة الرابعة

أن يرد من كلامه ﷺ ما يصلح أن تفسر به الآية مع أن الآية لم يرد لها ذكر في حديثه

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الوجه الأول

الصورة الخامسة

يسأل النبي ﷺ أصحابه عن الآية ثم يفسرها لهم، أو هو يُسأل

عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفا سورة فقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي» فيقول: «ما تدري ما أحدثتْ بعدك».

الوجه الأول

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الصورة السادسة

يفصل ﷺ الخلاف الواقع بين أصحابه في الآية، وذلك ببيان المبهم في الآية، أو الإخبار عن المعنى

جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: امترى رجل من بني خُدْرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ في ذلك، فقال: «هو هذا -يعني مسجده- وفي ذلك خير كثير»

الوجه الأول

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الصورة السابعة

أحياناً يكتفي ﷺ بمجرد قراءة الآية، وتبين ملابسات الرواية معنى من معاني هذه الآية

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قبة -أي في خيمة في بدر-: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك. وهو في الدرع فخرج، وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

الوجه الأول

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الصورة الثامنة

أن يتأول ﷺ القرآن فيعمل به، وعمله به ينبئنا عن المواضع المناسبة لهذا العمل

فعن أسامة بن زيد: أن رسول الله ركب على حِمار على قَطِيْفَة فَدَكِيَّة، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعدَ بنَ عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلُول، وذلك قبل أن يُسْلِم عبد الله بن أُبيٍّ -أي قبل أن يُظهر إسلامه- فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدَة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رَوَاحة، وكان النبيُّ وأصحابه يَعْفُون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى. قال الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية [آل عمران:١٨٦]، وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]. إلى آخر الآية، وكان النبيُّ يَتَأَوَّلُ العفوَ ما أمَرَه الله به

الوجه الأول

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الصورة التاسعة

أن يذكر ﷺ ما يؤكد كلامه من القرآن الكريم

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]

تفسير القرآن بالقول النبوي، ومن صوره:

الوجه الأول

الصورة العاشرة

التفسير النبوي بالمثال

حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «يحضر الجمعة ثلاثة: فرجل حضرها يلغو، فذاك حظه منها، ورجل حضرها بدعاء، فهو رجل دعا الله، فإن شاء أعطاه، وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصاتٍ وسكوت، ولم يتخطّ رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدًا، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام؛ فإن الله يقول: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

الوجه الثاني
تفسير النبي ﷺ المستنبطُ من القرآن الكريم

يجد الباحث في السنة نصًا يدل على أن النبي ﷺ ربما استنبطه من القرآن، أو فصَّل به شيئًا فهمه من القرآن، ولم يكن ذلك توقيفيًا أي لم يعلمه الله جل وعز مباشرة أو بواسطة الملك، وإنما فهمه واجتهد في بيانه للناس

ومن هذا النوع قولُه ﷺ :أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد»، فربما استنبطه من قوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، كذا قيل، ولا أظنُّ قول النبيِّ ﷺ هنا استنباطًا توفيقيًا، بل يَغْلِب على الظنِّ أنه كان توقيفيًا؛ لأن الآية تتحدَّث عن الاقتراب بالسُّجود، لا عن أعلى درجات الاقتراب، وهو نصُّ الحديث

الوجه الثالث
تفسير أسباب النزول للقرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾، ما المقصود بالفضل؟ يحتمل أن يكون الفضل السيادةَ والرفعةَ، كما في قوله تعالى ذكره: ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ ويحتمل أن يكون الفضل الخصالَ الكريمة، كما في قوله تعالى جده: ﴿ولا تنسوا الفضلِ بينكم﴾ ويحتمل أن يكون الفضل الأجرةَ، ومن معاني الفضل: التجارة، فعن ابن عَبَّاس قال: كانت عُكاظُ (بضم المهملة وتخفيف الكاف وفي آخره ظاء مشالة)، ومَجِنَّةُ (بفتح الميم وكسر الجيم وتشديد النون)، وذو المَجازِ (بفتح الميم وتخفيف الجيم وفي آخره زاي) أسواقًا في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم -يعني مواسم الحج- فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مواسم الحج».

الوجه الرابع
تفسيرُ القرآن بالسيرةِ النبويةِ والشمائل المصطفوية

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي رحمه الله :حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ: أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشرَ آياتٍ، فلا يأخذون في العشر الأخرى، حتى يعلموا ما في هذه من العلم، والعمل، قالوا: فعلمنا العلم، والعمل»

الجواب: من أمثلة أعمال الرَّسُول التي هي تفسير للقرآن:

عدِّد الأعمال النَّبَويَّة التي تعد تفسيرًا للقرآن

الأول

صلاته الصلاة والسلام، فقد صلَّى، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، فالصلاة كلها داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، وصلاته تفسير لهذه الآية.

الثاني

حجه عليه الصلاة والسلام، فقد حجَّ وأدى المناسك كلها؛ من الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف، والنحر، وغيرها... وقال: «لتأخذوا مناسككم»، فكل أعمال الرَّسُول في الحج داخلة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧].

الثالث

ومن الأمثلة التفصيلية لذلك: قول الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، هذه الآية تحدد مواقيت الصلوات الخمس،

مقدار التفسير النبوي للقرآن الكريم

ما مقدار التفسير النبوي للقرآن؟

الجواب

القول الأول

لم يفسر النبي ﷺ إلا شيئًا قليلاً، وممن ذهب إلى هذا القول السيوطيُّ

القول الثاني

فسّر النبيُّ ﷺ جميعَ القرآن، ويُنسَب هذا الرأي لابن تيمية رحمه الله تعالى

القول الثالث

لا تنافي بين القولين، فقول السيوطي صحيحٌ، إن نظرنا إلى مجرد الأقوال المباشرة لبيان المعنى، أما لو نظرنا إلى ما سبق من الوجوه الأربعة لتفسيره ﷺ، وإلى أنَّ سيرةَ النبي ﷺ تُعَدُّ بيانًا للقرآن، فتوضحه، وتفسره، وأن حياتَه هي التطبيق العلمي العملي للقرآن، فإن تفسير النبي ﷺ بموجب ذلك يصبح واسعًا جدًا

حكم أن يفسر أحد آية قد فسرها النبي ﷺ

شروط قبول الاجتهاد في فهم آية ما فسرها النبي ﷺ

الجـــواب

قاعدة (1)

تفسير النبي ﷺ بالمثال، لا يمنع غيرَه من الأقوال

قاعدة (2)

تفسير النبي ﷺ لا يمنع من اجتهادٍ في فهم الآية إذا كانت مما يسوغ الاجتهاد في تفسيرها

حالتان تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن:

الحالة الأولى: لا يجوز الزيادة على التفسير النبويُّ؛ لأنه إما أن يكون بيانًا لنصٍ لا يحتمل التأويل، وإما أن يكون كلامًا عن أمرٍ غيبيٍ، لا مجال للرأي فيه.

الحالة الثانية: تجوز الزيادة على التفسير النبوي، بأن يَرِد هذا التفسير فينصَّ على صورٍ بعينها في معنى الآية، دون أن يمنع من استنباط معانٍ أخرى يفهمها المفسر بالاجتهاد الصحيح كما جاء عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»

إذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم آية، وجاز لمن بعده أن يفسرها –حسب ما سبق– فما مكانة التفسير النبوي السابق في هذه الحالة؟

الجـــواب

يكون تفسير النبي ﷺ في المقدمة وهو ما صنعه علماؤنا من المفسرين، ومن الأمثلة على ذلك: تفسير المغضوب عليهم والضالين، فذكر القرطبي أربعة أقوال فيهما:

- فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى
- وقيل: المغضوب عليهم المشركون، والضالين المنافقون
- وقيل: المغضوب عليهم باتباع البدع، والضالين عن سنن الهدى
- وقيل: المغضوب عليهم هو من أسقط فرض هذه السورة في الصلاة، والضالين عن بركة قراءتها

المصدر الثالث

(الصحابة) تفسير القرآن بما ورد عن الصحابة

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

١

أنهم المختارون لصحبة أشرف الخلق ﷺ

أنهم أولى الناس بأن يُبَلِّغوا ما بَلَّغه رسول الله ﷺ، وهم أولى الناس بأن يقتدوا به، فيقتدي بهم غيرهم حالاً، وفهمًا، وقالاً، وفي إرساء منهجية الأخذ من الصحابة رضي الله عنه

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

٢

لأنهم الطريقُ الوحيدُ للفهم الصحيح للقرآن

لأن كلا منهم نقل شيئًا من التطبيق النبوي للقرآن الكريم، وهم ثلاثة أصناف: أزواجه، وذريته وأقاربه، وسائر أصحابه رضي الله عنهم

قرآن يتلى لإنسانية ترقى

كيف نقل لنا الصَّحابَة تطبيقَ النبيِّ للقرآن، مع أنَّ كلًّا منهم إنما نقل شيئًا محدودًا؟

الجـــواب

الصنف الأول

آلـه -وهـم أزواجـه، وذريته- إذ نقلوا لنا التطبيـقَ النَّبَـويَّ للقرآن الكريم داخل بيتـه، وفي خاصَّـة نفســـه.

الصنف الثاني

آلـه -بمعنـى بقيـة أقاربـه- نقلـوا لنـا التطبيـقَ النَّبَـويَّ للقـرآن الكـريم في محيط بقية أسرته، وتعامُلـه مـع عشـيرته.

الصنف الثالث

سـائر أصـحابه فقـد نقلـوا لنا التطبيقَ النَّبَويَّ للقرآن الكـريم خـارج بيتـه

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

٣

لأن علماء الصحابة اهتموا بمعرفة ما يتعلق بكل آية اهتمام التلاميذ النجباء بما يقوله ويصنعه الأستاذ المتمكن

قول ابن مسعود رضي الله عنه مثلاً: «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

كيف ظهر لنا أن الصَّحابَة اهتموا بكل ما يتعلق بالآية أعظم من اهتمام التلاميذ بما يقوله الأستاذ؟

الجواب: لأن الصَّحابَة لم ينظروا إلى النبيِّ نظرة التلاميذ إلى الأستاذ فقط، وإنما نظروا إليه باعتباره الرَّسُول المبارك الذي اجتباه الله، ولذلك كانوا لا يرون منه شيئًا إلا تعاملوا معه تعاملهم مع ما أمر الله به من التعزير والتوقير: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح ٨-٩].

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

٤

التمكن في معرفة اللسان العربي قبل فُشُوِّ اللحن معرفةً فطريةً لم تشبها شوائب العُجْمة

يبين لنا ذلك الشاطبي رحمه الله فيقول: "فإنهم عربٌ فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة".

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

٥

لما ورد في فضل علمهم وتعدد مواهبهم

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ...».

ما أثر تنوُّع مواهب الصَّحابَة العلمية في فَهْمِ القرآن الكريم؟

الجواب: عندما عدَّد النبيُّ مواهبهم علمنا أن كلًّا منهم له قوَّة تأثير انطلقت من فَهْمِهم للقرآن المجيد، ولا بد من الاقتداء بهم، لكنهم -لبشريتهم- يتفاضلون في ذلك، ونرى النبيَّ يخبرنا أن نُقَدِّمهم حَسَب قوَّتهم العلميَّة والعمليَّة، فمثلاً جاء عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وحذيفة بن اليمان قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ » :اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ، والأحاديث في فضل عِلم الأربعة الخلفاء وغيرهم كثيرة

لماذا نفسر القرآن بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم؟

٦

مشاهدتهم لما نزل فيه الوحي من الوقائع، ومباشرتُهم لوضع النبي ﷺ الخطاب القرآني في مواضعه، ومعرفةُ عاداتِ العرب وأحوالِها التي نزل القرآن ليبين علاجها

"فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييدُ بعض المطلَقات، أو تخصيصُ بعض العمومات فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية، مثاله قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر»، فهذا التعجيل يحتمل أن يقصد به إيقاعه قبل الصلاة، ويحتمل أن لا، فكان عمرُ بن الخطاب وعثمانُ بن عفان يصليان المغرب قبل أن يُفطِرا، ثم يفطران بعد الصلاة".

كيف فسر الصحابة رضي الله عنهم القرآن بالقرآن؟

وضعَ ابن تيميةَ رحمه الله قاعدة للعلم تختصر قاعدته التي قدمناها في أول مصادر التفسير، فقال: "العلم شيئان: إما نقلٌ مُصَدَّق، وإما بحثٌ محقق"، فتفسير الصحابة لا يخرج عن هذين الأساسين، ويندرج في الأساسين المذكورين المصادر الأربعة الآتية:

1. تفسير الصحابي القرآن بالقرآن
2. تفسير الصحابي بالنقل عن النبي
3. تفسير الصحابي بالنقل عن أهل الكتاب
4. تفسير الصحابي بالاجتهاد

تفسير الصحابي بالنقل عن القرآن الكريم

المصدر الأول

سأل رجلٌ الحسن بن علي رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] فقال: سألتَ أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألتُ ابنَ عمر، وابنَ الزبير ﷺ، فقالا: يوم الذبح (يعني النحر)، ويوم الجمعة؛ قال: لا! ولكن الشاهد: محمد، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]

نرى اختلاف ثلاثة من الصحابة في تفسير آية واحدة، كيف نتعامل مع هذا النوع من التفسير الصادر عن الصحابة؟

كيف نتعامل مع هذا النوع من التفسير الصادر عن الصَّحابَة ﷺ؟

المصدر الأول

أولاً

في هذه الحالة نطبق على الرواية الموقوفة المعاييرَ الحديثية للتأكد من ثبوت الرواية.

ثانياً

نطبق القواعد المتعلقة بحجية أقوالهم من حيث المتن، فمنها ما له حكم الرفع، ومنها ما هو رأيٌ واجتهادٌ، فليس بحجةٍ في ذاته، بل تُرَجَّحُ حجيتُه إذا كان صادرًا عن مفسرٍ امتلك مؤهلاتٍ لم يمتلكها غيره، كابن عباس، أو كعمر بن الخطاب، أو كعلي بن أبي طالب.

ثالثاً

يصبح تفسير الصحابي بفهمه للقرآن الكريم مكان استئناس لا احتجاج، ولا بد أن نفهم استدلاله بالقرآن، وهل هو ظاهر أم لا فيما ذهب إليه؟

فتفسير الصحابي للقرآن بالقرآن في هذه الحالة ليس بحجة؛ لأنه يعبر عن فهمه إلا أن يكون استدلاله لفهمه بآية، ووجه الاستدلال قطعي مطابق

ما أحوال تفسير الصحابي عندما ينقل عن النبيِّ ﷺ ؟

المصدر الثاني

1 المرفوع الحقيقي

أن يُصرِّحَ الصحابي بنسبة التفسير إلى النبي ﷺ

قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ

ما أحوال تفسير الصحابي عندما ينقل عن النبيِّ ﷺ ؟

المصدر الثاني

2 أن يُفَسِّرَ الصحابيُّ الآيةَ بالمرفوع الحكمي

له حكم الرفع عن النبي ﷺ وإن لم يصرح بذلك

وهو الخالي من خمسة أوصاف:

- لا يتعلق برأيٍ استنبطه الصحابي
- ليس له تعلق ببيان لغةٍ، أو شرح غريب
- لا يتعلق بنقلٍ عن صحابي آخر
- لا يتعلق بنقلٍ عن الإسرائيليات
- لا يتعلق بأسباب النزول المحتمِلة للسببية

فإذا اجتمعت هذه الأوصاف فعند ذلك نستطيع أن نقول: تفسير الصحابي هنا له حكم الرفع

الإمام أبو عبد الله الحاكم eصاحب المُسْتَدرك له آراء حديثية مُعتبَرة، فهل يَعُدُّ كلَّ تفسير للصحابي مرفوعًا؟

الجواب: لا! بل يَعُدُّ النوع الذي ذكرناه مرفوعًا، وهو الذي نَحْمِل عليه قوله: "على أن تفسير الصَّحابيِّ الذي شهد الوحي والتَّنزيل حديثٌ مُسْنَد"، وقد صرَّح بذلك في: (علوم الحديث) فقال: "ومن الموقوف الذي يُسْتَدلُّ به على أحاديث كثيرة – ثم أسند عن أبي هريرة في قول الله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٩] قال: «تَلْفَحُهُمْ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً، فَلَا تَتْرُكُ لَحْمًا عَلَى عَظْمٍ إِلَّا وَضَعَتْهُ عَلَى الْعَرَاقِيبِ» قال: وأشباه هذا من الموقوفات تُعَدُّ في تفسير الصَّحابَة، فأما ما نقول في تفسير الصحابي مُسْنَد، فإنما نقوله في غير هذا النَّوع، فإنه -وأسند عن جابر -قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبُرِها في قُبُلِها جاء الولد أَحْوَل، فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

قال الحاكم " :eهذا الحديث وأشباهه مُسْنَدة عن آخرها، وليست بموقوفة؛

ما أحوال تفسير الصحابي عندما ينقل عن النبيِّ ﷺ؟

المصدر الثاني

3 أن يقول صحابيٌّ: «من السنة كذا»

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا التعبير لا يدل على الرفع

فلا بد من التأكد من أن الصحابي عندما قال تفسيرًا، وعبر عنه بمثل قوله: (من السنة كذا) إنما يريد الرواية لا الرأي، إذ قد ينسب الصحابي إلى السنة ما يظن أنها كذلك في فهمه لا في روايته، فيكون تعبيره عن ذلك بكلمة (سنة) أنها سنة في نظر القائل.

ما أحوال تفسير الصحابي عندما ينقل عن النبيِّ ﷺ؟

المصدر الثاني

3 أن يقول صحابيٌّ: «من السنة كذا»

وإذا كان الراجح عدمَ الجزم بأن هذا التعبير يدلُّ على الرَّفْع، فمتى يكون مرفوعًا، ومتى يكون موقوفًا؟

الجواب: الأصل فيه أنه موقوف حتى يأتي ما يدلُّ على رَفْعه كأنْ يصرِّح بالرفعِ، أو يكون كلامُه مما لا اجتهاد فيه، ولم يُعْلَم بالأخذ من الاسرائيليات، كما حققه الزَّرْكَشِيُّ

تفسير الصحابي الذي يعود للنقل عن النبي ﷺ؟

المصدر الثاني

4 قول الصحابي: أُحِلَّ لنا، وحُرِّمَ علينا، وأُمِرْنا، ونُهينا

قال ابن حجر: "قول الصحابي: أحل لنا وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية؛ لأنها في معنى المرفوع.

١ القول الحكمي
إخبار الصحابي الذي لم يخبر عن الكتب المتقدمة ما لا مجال للاجتهاد فيه من الأحوال الماضية كأخبار الأنبياء

٢ الفعل الحكمي
بأن يفعل الصحابي ما لا مجال للاجتهاد فيه

٣ التقرير الحكمي
بأن يخبر الصحابي بأنهم كانوا يفعلون كذا في زمان النبي ﷺ

تفسير الصحابي الذي يعود إلى النقل عن أهل الكتاب

المصدر الثالث

يأتي تحقيقه في مصدر النقل عن أهل الكتاب إن شاء الله

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الأولى

جواز اجتهاد الصحابة في التفسير

يؤكد ابن عاشور رحمه الله أن الصحابة رضي الله عنهم كغيرهم قد يجتهدون في فهم القرآن، يدل على ذلك حديثُ أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا ما في كتابِ الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسَمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ فذكر عددًا من المسائل الفقهية المسموعة عن النبي ﷺ.

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الثانية

حالتان لاجتهاد الصحابة في عصر الرسول ﷺ

الحالة الأولى: أن يُقِرّ الرسول اجتهادهم

عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: تلا رسول الله ﷺ يومًا ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فقال شاب من أهل اليمن: «بل عليها أقفالها، حتى يكون الله ﷻ يفتحها أو يفرجها»، فما زال الشاب في نفس عمر ﷺ حتى وُلّيَ فاستعان به.

الحالة الثانية: أن يُصَحِّحَ الرسول فهمهم للآية

كحديث عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، وحديث حفصة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ حيث صحح لكلتيهما فهمها في الآيتين.

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الثالثة

حجية اجتهاد الصحابي في تفسير الآية إذا لم يقرَّه النبي ﷺ أو لم يكن مرفوعًا

الحالة الأولى
إذا اتفق الصحابة في هذا الاجتهاد، فتفسيرهم حجة لأنه إجماع

الحالة الثانية
أن ينقل عن أحدهم ويشتهر، ولا يعلم له مخالف، فهو حجة عند الجمهور

الحالة الثالثة
أن يُنقل عن أحدِهم لكن دون اشتهار، ولا يُعلم له مخالف، فهذا فيه نزاع، والجمهور يحتجون به

الحالة الرابعة
إذا اختلفوا في الاجتهاد، فلا يكون قولُ أحدهم حجةً على الآخر

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الثانية

ويذكر الشَّوْكانِيُّ eالتفصيل التالي في حُجِّية اجتهاد الصَّحابَة في التفسير:

أ) إذا كان الاجتهاد من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مُغايِر للمعنى اللُّغوي بوجه من الوجوه، فهو مقدَّم على غيره.

ب) وإن كان من الألفاظ التي لم ينقلها الشرع، فالصحابيُّ كواحد من أهل اللُّغة الموثوقِ بعَربيَّتِهم، فإذا خالفَ المشهورَ المستفيضَ لم تَقُم الحُجَّة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، فالأَوْلَى تفاسير مَنْ بعدهم من التَّابِعين وتابعيهم وسائر الأمَّة.

ج) عند الشَّوْكانِيّ eلا يمنع ورودُ وجه في تفسير الآية عن الصحابيّ من وجوه أخرى يَسْتنبطُها غيره، فكثيرًا ما يَقْتَصر الصحابيُّ ومن بعده من السَّلَف على وجه واحد مما يقتضيه النَّظْم القرآني باعتبار المعنى اللُّغوي

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الرابعة

مصدر التفسير في اجتهاد الصحابي رضي الله عنه

الحالة الأولى

ما وقع في عهد النبي ﷺ، فله حكم المرفوع، سواء أقره النبي ﷺ أم صححه، وحكم المرفوع إنما يكون بعد التصحيح

الحالة الثانية

قد يكون اجتهادُ الصحابي عائداً إلى استنباطه من النص القرآني أو النبوي، معتمداً على النصوص الشرعية الأخرى

ما رواه عبيد بن عمير قال: قال عمر يومًا لأصحاب النبيِّ :فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عَبَّاس : في نفسي منها شيء -يا أمير المؤمنين-. قال عمر :يا ابن أخي! قُلْ، ولا تحقر نَفْسَك. قال ابن عَبَّاس : ضُرِبتْ مَثَلاً لعَمَل. قال عمر :أيُّ عمل؟ قال ابن عَبَّاس : لعمل. قال عمر :لرجلٍ غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي، حتى أَغْرَق أعمالَه

تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد)

المصدر الرابع

المسألة الثانية

حالتان لاجتهاد الصحابة في عصر الرسول ﷺ

الحالة الثالثة

قد يكون تفسير الصحابي نَقْلاً عن صحابي آخر، والفهم العام يدل على أن له حكم المرفوع

ومثاله ما جاء عن عبد الله بن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبيِّ اللَّتَين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]. فحَجَجْتُ معه، فعَدَلَ وعَدَلت معه بالإداوة، فتبرَّز، حتى جاء فسكبتُ على يديه من الإداوة، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، مَنِ المرأتان مِنْ أزواج النبيِّ اللَّتان قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]؟ فقال: واعجبي لك يا ابن عَبَّاس! عائشةُ وحفصةُ... الحديث

الحالة الرابعة

قد يكون تفسير الصحابي بيانًا للمعنى اللغوي، ودلالات الألفاظ

وأبرز أمثلته سؤالات نافع بن الأزرق، وكذلك ما رواه ابن عَبَّاس قال: ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت بنتَ ذي يَزَن تقول: تعال أُفاتِحْك، تعني: أُقَاضِيك، وتفسير ابن عَبَّاس للفَتْح بالقَضاء تفسيرٌ بمعنى واحدٍ من معانٍ متعدِّدة

الحالة الخامسة

قد يكون تفسير الصحابي نقلاً عن أهل الكتاب، ويأتي الكلام عنه -إن شاء الله تعالى-.

المثال الأول

جاء عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ قالت: نزلت: (فعدة من أيام أخر متتابعات)، فسقطت: (متتابعات)، أي: أنها لا تأخذ حكم المتلو بل هي: إما من فهم عائشة، وتقييدها للمطلق في الآية، وإما سمعتها من النبي ﷺ تفسيرًا لا تلاوةً، أو غير ذلك.

المثال الثاني

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، قال: مصائب الدنيا، والروم، والبطشة، أو الدخان فأوضح إبهام (العذاب الأدنى) في الآية.

قاعدة

ما نقل عن الصحابي على أنه قراءة فهو تفسير إلا أن يكون منقولاً بطريق النقل القرائي

لأن القرآن ثبت بالتواتر القطعي الذي استغنى عن العدد، والقراءة وجه من الوجوه التي نزل بها القرآن، فلا يثبت قرآن بخبر آحاد، فيكون المراد من قول الصحابي أو مما نقل عنه هو التفسير لا القراءة، وهذا التفسير يأخذ حكم النقل عن الصحابي، فما ورد على أنه مرفوع فهو مرفوع، وما ورد على أنه موقوف فهو كذلك

قاعدة

قول الصحابي بنسخ نص أو حكم ليس كافيًا للقول بمقتضاه

قالٍ الزرقاني رحمه الله: "أما قول الصحابي هذا ناسخ وذاك منسوخ، فلا ينهض دليلًا على النسخ لجواز أن يكون الصحابي صادرًا في ذلك عن اجتهاد أخطأ فيه فلم يصب فيه عين السابق ولا عين اللاحق خلافًا لابن الحصار"، ولسبب آخر عندي هو أنه قد يعني بالنسخ التخصيص، أو التقييد، أو العمل المرحلي.

الحالة الأولى: كثرة الوضع في التفسير

ما دسَّه أعداء الإسلام مثل الزنادقة

ما لفقه أصحاب المذاهب الغالية المتطرفة ترويجًا لتطرفهم

الحالة الثانية: دخول الإسرائيليات فيه

ومنها كثير من الخرافات التي يُشم رائحة البطلان فيها لأول وهلة

الحالة الثالثة: حذف الأسانيد أو عدم بيان حالها

مما سبب اختلاطَ المقبول بغير المقبول، وترتب عليه أن ينقل المفسر من الأقوال المعزوة من غير إسناد ولا تحرٍّ..

هل يجب الالتزام بما ورد في تراثنا التفسيري من أقوال الأئمة، ونقولٍ عن شيوخ الأمة في فهم القرآن المجيد؟

القسم الأول

يجب الالتزام به؛ لأنه يمثل مصادر التفسير التي لا يمكن فهمُ القرآن بدونها

القسم الثاني

ما ينبغي رفضه؛ لوجود مانع يمنع قبوله والأخذ به

المصدر الرابع

(اللغة) تفسير القرآن باللغة العربية

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

المبحث الأول

سبب جعل العربية مصدرًا للتفسير

لماذا صارت اللغة العربية مصدرًا للتفسير؟

الجـــــواب

أولاً لأن القرآن المجيد نزل بلسانٍ عربي مبين

ثانياً لأن معرفة اللسان العربي يُسهِم في استدرار المعاني الغزيرة التي تثجها الألفاظ القرآنية

ثانياً لأن اللسان العربي يضبط الأحوال التي يحتملها الرسم المصحفي

رابعاً لأن معرفة العربية تكشف المتلاعبين في معاني الألفاظ القرآنية

سبب جعل العربية مصدرًا للتفسير

مثال يوضح أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم

ما جاء عن ابنِ أبي مليكة، قال: قدم أعرابيٌ في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجل (براءة)، فقال: (أن الله بريء من المشركين ورسولِه) بالجر. فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فبلغ عمرَ رضي الله عنه مقالةُ الأعرابي، فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن. فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورةَ (براءة)، فقال: (أن الله بريء من المشركين ورسولِه)، فقلت: أو قد بريء الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال عمر رضي الله عنه : ليس هكذا -يا أعرابي- قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، فقال الأعرابي: وأنا -والله- أبرأ مما بَرِئ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ألَا لا يُقرئُ الناسَ إلا عالمٌ باللغة.

المبحث الأول

سبب جعل العربية مصدرًا للتفسير

قاعدة

القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلا يمكن إدراك معانيه ومراميه إلا عن طريق هذه اللغة، وتفسيرُه بغيرها تحريف للكلم عن مواضعه

قاعدة

عربية القرآن كلية جميعية وليست كلية مجموعية، والفرق بينهما: أن الكلية الجميعية تشمل كل كلمة فيه، فليس فيه كلمة تنتمي إلى غير العربية، أما المجموعية فتعني أن كلمات القرآن عربية في الجملة، وفيها ما ليس كذلك

المبحث الثاني ما المراد من علم العربية في أصول التفسير؟

الجـــــواب

معرفةُ مقاصدِ العرب من كلامهم، وأدبِ لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانَيهم، أم حصلت بالتلقي، (أو بـ) التعلم، كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب، ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان، ودونوها.

قاعدة

معرفة الفروقِ اللغويةِ الدقيقةِ تقي من المزالقِ العميقة

المبحث الثاني

أهم المصادر اللغوية التي يُرجع إليها لمعرفة الدلالات والجذور اللغوية

1. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي
2. معجم مقاييس اللغة
   أحمد بن فارس الرازي
3. القاموس المحيط
   الفيروزآبادى
4. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب
   عبد الله بن يوسف بن هشام
5. ومن كتب العربية: تفسير الطبري
6. تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزَّبيدي

ومنها: كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، وكتاب المعجم المؤصل للدكتور محمد حسن جبل

من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة

الأصل حمل الكلام على مقتضى الظاهر معنىً ونظمًا، ولا يُحمل على غير الظاهر إلا لقرينة

قوله تعالى جده: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، لا هنا للنفي، فهو خبر، ولكن معناه النهي عند بعض المفسرين، أي لا ترتابوا فيه، فخرج عن مقتضى ظاهر النفي إلى النهي، ولكن الأصل هو النفي، ويكون المعنى: إنه الكتاب الوحيد الذي لا ينبغي أن يوجد فيه ريب.

مثال ٢: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، فقرر بعض المفسرين أنه خرج عن مقتضى الظاهر هنا أمران:

١) الفعل المضارع (سيقول) فالمراد الماضي (معنى الآية)

٢) ترتيب الآيات، فجعلوا الآية ١٤٢ نازلة بعد الآية ١٤٤

ولكن الظاهر عندي أن الآية ١٤٢ على ظاهرها نظمًا ومعنى

ومما يحمل على غير الظاهر لقرينة قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]

من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة

الأصل أن الاستعمال القرآني على مقتضى الظاهر إلا في النادر، فيجب أن يُعد ما ورد من الأساليب القرآنية مما ورد على النادر في العربية قاعدة لغوية مستقلة

ومثال ذلك: وردت كلمة ﴿ظلَّام﴾ في معرض النفي في خمسة مواضع من القرآن مثل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيسَ بِظَلَّام لِّلعَبِيدِ﴾، وقد خرجت في هذه المواضع عن مقتضى الظاهر؛ فقد قرر ابن هشام في مغني اللبيب أن صفات الذم إذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف أصلُها؛ واختار تبعًا لابن مالك أن فعّالاً هنا ليس للمبالغة بل للنسب؛ أي: لا يُنْسَبُ إليه ظلمٌ أصلاً، فيكونُ من باب: بَزَّاز وعَطَّار، كأنه قيل: لا يُنسب إليه ظلم البتّةَ

قاعدة

ترد صيغة (فعال) إما للمبالغة، وإما للنسبة على حسب السياق

ناسب ذلك جدًّا أن يُمدح الله تعالى به؛ لأن نفي الظلم بصيغة (فعال) يراد به معنى الكثرة لا المُبالغَة، ولكنه لَمَّا كان مقابَلاً بالعباد وهم كثيرون ناسب أن يُقابَلُ الكثيرُ بالكثير، ويقابل ذلك أنّه تعالى قالَ: «عَلاّمُ الغُيوب» فقابَلَ صيغةَ فَعّال بالجَمع

من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة

توجيه تأويل القرآن إلى الأشهرِ من اللغات أولى من توجيهه إلى الأنكر (الأغرب، أو الأبعد) ما وُجد إلى ذلك سبيل.

ومن أمثلة ذلك تفسير الرجاء بمعنى الخوف؛ فإن ذلك مما لا يُعلم لغة، وقد اعترض على هذا التفسير الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿وَتَرجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرجُونَ﴾، فزعم بعضهم أن معناه: وتخافون من الله ما لا يخافون، أخذًا له من قول الله جل ذكره: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: لا يخافون أيام الله تعالى

من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة مقابلة

قد يوجد في القرآن الكريم ما يُفسَّرُ على المعنى القليل من لغة العرب

مثال ذلك: قولُه تعالى ذكرِه: ﴿إِنَّا عَرَضنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَتِ وَٱلأَرضِ وَٱلجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا﴾، فكلمة السماوات تُحمل على الأشهر في اللغة، لا على الأقل، وهو السقف. ولكن قوله: (عرضنا... فأبين أن يحملنها) مستشكلٌ؛ إذ كيف تأبى السماوات والأرض شيئًا طلبه الله، وهما قد قالتا: ﴿أَتَينَا طَائِعِينَ﴾ .

قاعدة

لا بد من" اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم

هذه القاعدة وضعها أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله، فإن كان للعرب في لسانهم عُرْفٌ مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، والقواعد التالية توضح هذه القاعدة

المبحث الثالث من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة

يجب وصل معاني الكلام بعضه ببعض ما وجد إلى ذلك سبيل

قاعدة

صيغة المضارع إما أن تدل على كثرة التكرار ومداومة ذلك الفعل، وإما على حكاية المشهد كأنه واقع، وإما عليهما معًا، إلا أن يدل السياق على غير ذلك

قاعدة

يتفق المعنى الشرعي والمعنى اللغوي غالبًا في القرآن الكريم كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان

المبحث الثالث من القواعد التفسيرية في هذا المصدر

قاعدة

إن اختلف المعنى الشرعي عن اللغوي، أخذ بما يقتضيه الشرعي؛ لأن القرآن نزل لبيان الشرع، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به.

قاعدة

القرآن حمال وجوه، فما احتمله جاز به التفسير، لا ما حُمِّله أو استكره عليه

قاعدة

الأصل الجمع بين المعاني التي تحتملها الآية

المصدر الخامس

(الرأي) تفسير القرآن بالاجتهاد المقبول والرأي السائغ

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

بماذا وصف الزركشي هذا المصدر؟

وصف الزركشي هذا المصدر بأنه: "التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع

يعنى بقوله: "المقتضى من معنى الكلام" ما أوجبته الدلالات اللفظية من الناحية اللغوية فاقتضى معناه، وهذا الاقتضاء إما أن يظهر لنا بدلالة المطابقة، أو بدلالة التضمن، أو بدلالة اللزوم، وإن لم تدل عليه ألفاظ النص بصورةٍ مباشرة، ولكن النص لا يصح معناه إلا به.

قاعدة

يصح الاجتهاد في التفسير وَفقَ ثلاثة أركان:

- التزامُ اللغةِ العربية
- الاستقامة على مقاصد الشرعِ الكلية
- عدم مضادة النصوص الجزئية الأخرى

ما حكم التفسير بالرأي؟

قبل أن نقرر هذه القاعدة البينة نذكر أن أهل العلم اختلفوا في جواز التفسير بالرأي بين مانعٍ ومجوِّزٍ، فلننظر باختصارٍ في أدلة الفريق المانع؛ إذ تراني قد قررت الراجح الواضح سلفًا

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي

الدليل الأول

النهي عن القول على الله بلا علم، واتباع للظن

وأجيب عن هذا بأن الظن أنواع:

النوع الأول: الظن الخُلُقي المنهي عنه: ويكون بإطلاق العِنان للظنون في إلقاء التهم على الناس

النوع الثاني: الظن الخلقي الصحيح: بأن يظن الإنسان بإخوانه خيرًا

النوع الثالث: الظن العلمي الصحيح: وذلك بأن يجتهد المجتهد في مسألة، فيظن الصحيح في موضع لا يراه آخرون

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي

الدليل الثاني

أحاديث ذم الرأي في تفسير القرآن

ومنها حديثان:

حديث ابن عباس عن النبي قال: «اتقوا الحديث عنِّي إلا ما عُلِّمتم، فمن كذب علَيَّ متعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»

وحديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال في كتاب الله تعالى برأيه فأصاب، فقد أخطأ)

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي

الدليل الثاني

أحاديث ذم الرأي في تفسير القرآن

وقد أجيب عن هذين الحديثين في حال صحتهما بخمسة أجوبة:

- معناه أن يقول برأيه في نحو مشكل القرآن الكريم ومتشابهه مما لا يُعلم إلا من طريق النقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين
- المنهي عنه في الحديثين أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والحذف والإضمار
- أن يكون المعنى: ذمَّ من قال في القرآن لفظِه أو معناه دون الرجوع إلى الضوابط العلمية، ولو لم يحتج الأمر إلى نقلٍ؛ فإن الرأي أو الاجتهاد لا بد لهما من ضوابط يُرجع إليها
- أن يكون القصد من التحذير أخذَ الحيطة في التدبر والتأويل ونبذَ التسرع إلى ذلك، وهذا مقامٌ تفاوت العلماء فيه، واشتد الغلو في الورع ببعضهم حتى كان لا يذكر تفسير شيء
- النهي يرجع إلى أن يكون للشخص في الشيء "رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي

الدليل الثالث

الأحاديث والآثار في ذم الرأي مطلقًا

وهي كثيرة منها:

- حديث عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»

- عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا قال: «ما زال أمر بني إسرائيل معتدلاً ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم، أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي، فأضلوهم»، وفي رواية: «فأفتوا بالرأي، فضلوا وأضلوا»

أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي

الدليل الرابع

الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين الدالة على تحرجهم في أن يخوضوا في التفسير عمومًا، وأن يفسروا بالرأي خصوصًا

- أما ذم الخوض في التفسير عمومًا:

فقد جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن فقال: «أُحُرِّجُ عليك إن كنت مسلمًا إلا ما قمت عني»

- وأما ذم التفسير بالرأي خصوصًا:

فقول ابن عباس قال: «من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله، ولم تمض به سنة من رسول الله، لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله»

والجواب عن ذلك كله: هو ذاته ما سبق من الأجوبة، فالمراد ذم من تكلم برأي مجرد، دون أن يستند إلى أصول التفسير وقواعده، وذم من أفتى مع الجهل، ولذلك وصفوا بالضلال والإضلال، وإلا فقد رأينا أن الله مدح من استنبط من الأصل

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه

الدليل الأول

آيات التدبر الواردة في القرآن الكريم

آيات التدبر الواردة في القرآن الكريم، وهي كثيرة، ومنها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، والتدبر يوصل إلى التفهم، فالتفسير بالرأي جائز، بل قد يكون واجبًا إذا كان من أهله في محله.

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه

الدليل الثاني

الآيات والأحاديث التي ميزت أهل الفهم والمستنبطين عن غيرهم

مثل قوله جل ذكره: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، ودعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال: «ضَمَّنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى صدره –أي ضمة الوالد لولده– وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ»

الدليل الثالث

القرآن معجزة الله، وحجته على البشرية مهما تجددت قضاياها

وهذا يقتضي ضرورة التفسير بالرأي عندما يصدر من أهله في محله، كما يعني حتمية ظهور معانٍ جديدةٍ تنبعث من الآيات، ولا تناقضُ المعانيَ الصحيحة القديمة

الدليل الرابع

أقوال السلف وعملهم بالرأي من الصحابة فمن بعدهم

ولو كان التفسير مقصورًا على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية لكان التفسير نزرًا، ونحن نشاهد كثرةَ أقوال السلف من الصحابة، فمن يليهم في تفسير آيات القرآن، وأكثر ذلك الاستنباط برأيهم وعلمهم

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه

الدليل الخامس

لا يصح أن يكون كلُّ ما قاله الصحابة في التفسير مسموعًا من النبي ﷺ

وذلك لوجهين:

- أن النبي ﷺ لم يثبت عنه من التفسير المباشر إلا تفسير آيات قليلة، وإن كانت حياته وسيرته تعد تفسيرًا عمليًّا للقرآن الكريم

- أنهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال، ولو كان بعضها مسموعًا لترك الآخر، أي لو كان بعضها مسموعًا لقال قائله: إنه سمعه من رسول الله ﷺ فرجع إليه من خالفه، فتبين على القطع أن كل مفسر قال في معنى الآية بما ظهر له باستنباطه

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه

النتيجة

وبعد استعراضك السابق لا بد أن تصل إلى نتيجةٍ بينة: أن تجمع بين كلام المجيزين والمانعين: فالخلاف بينهم أشبه أن يكون لفظيًّا: «بأن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي على التفسير بالرأي المستوفي لشروطه، فإنه يكون حينئذ موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وكلام العرب، وهذا جائز ليس بمذموم ولا منهي عنه، ثم يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي على ما فُقِدتْ شروطه السابقة، فإنه يكون حينئذٍ مخالفا للأدلة الشرعية واللغة العربية، وهذا غير جائزٍ، بل هو مَحَطُّ النهي

أمثلة على اختلاف الصحابة في التفسير

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

قال الطبري: "اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو؟ ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذُكر في هذا الموضع". ثم ذكر الأقوال في ذلك، وإليك قصة تلخص أشهر قولين

أمثلة على اختلاف الصحابة في التفسير

عن مسروق قال: دخلنا المسجد، فإذا رجل يقص على أصحابه. ويقول: ﴿يَومَ تَأتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَان مُّبِين﴾ [الدخان: ١٠] تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام.

حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ (أوَّلُ الآيات الدَّجالُ، ونزول عِيسى بن مَرْيَمَ، ونَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قعْرِ عَدْنِ أبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالوا، والدُّخان"، قال حُذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله الآية ﴿ يَومَ تَأتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَان مُّبِين (١٠) يَغشَى ٱلنَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيم﴾ يَملأ ما بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِب يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْما ولَيْلَةً أمَّا المُؤْمِنُ فيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ. وأمَّا الكافِرُ فيَكُونُ بِمَنزلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرِيْهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ» .

قاعدة

الممنوع من التفسير بالرأي المذموم هو الذي لا يعتمد على المصادر التفسيرية المعتمدة (القرآن، السنة، أقوال الصحابة، اللغة) أما عداه فمشروع بضوابطه

الفئة الأولى

مَن سَلَبَ لفظ القرآن ما دل عليه وأُريد به

مثل ما فعله المعتزلة في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حيث سلبوا لفظ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ معناها؛ توصلا إلى نصرة مذهبهم في القول بنفي إمكان رؤية الله ﷻ.

ومن سلب القرآن معانيَه البينة قول بعضهم: لا تتعلق الشريعة بالسياسة والحكم، وطلبوا في استكبارٍ الدليلَ عليه، كأنهم في صممٍ عن الأدلة المتكاثرة الآمرة بالحكم بما أنزل الله نحو قوله: ﴿فَاحكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾

الفئة الثانية

من حمَّل الدليل ما لم يحتمل من المعاني الفاسدة لموافقة الهوى

1. الباطنية
2. الخوارج، والقوى الحاقدة المشوهة لطبيعة الإسلام
3. الفرق السياسية التي تحاول التلاعب بالمعاني القرآنية لتحقيق مكاسبها

الفئة الثالثة

من أدرج بدعته وهواه في أثناء تفسيره تدليسًا وتلبيسًا

«ومن هؤلاء من يدس البدع والتفاسير الباطلة في كلامهم الجزل» كما يقول ابن تيمية رحمه الله.

ولكنني أنبه على أنه يجب الحذر من وصف تفسيرٍ ما بأنه مبتدع، أو فيه بدعة لمجرد اشتماله على خطأ ما، فإن الحكم بالقسط من أعظم مقاصد القرآن، كما يجب الحذر من المبالغة في إساءة الظن.

ويدخل في ذلك بعض ما يورده أصحاب التفسير الإشاري

الفئة الرابعة

من حمَّل ألفاظ الآيات معاني صحيحة مع أنها لا تحتملها

ما التفسير الإشاري؟

"هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا.

القسم الأول

ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى

كقولهم في قوله: ﴿وَمَن أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ إشارة للقلوب لأنها مواضعِ الخضوع لله تعالى؛ إذ بها يُعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس، ومنعها من ذكره: هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنِّية، وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله عزوجل

القسم الثاني

عبر ومواعظ

وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء، ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها، فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه، فإذا أخذوا في قوله تعالى ﴿فَعَصَى فِرعَونُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذنَهُ أَخذا وَبِيلا﴾ اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالًا

القسم الثالث

ما كان من نحو التفاؤل

فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ﴾: معناه: من ذلَّ ذي إشارة للنفس"، وعندي أن هذا لا يمكن قبوله؛ لأنه لعب واضح بالنظم الأصلي للآية

تفاوت أهل العلم في قبول ذلك:

حكم التفسير الإشاري

1 الطاهر بن عاشور

يقبل ذلك لا على أنه تفسير، ويقول: "فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية؛ لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم... فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم، وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه

حكم التفسير الإشاري

2 **الإمام الشاطبي: يقسمه إلى قسمين:**

الأول: الاعتبار القرآني:
بأن تكون الخواطر الواردة على القلوب الظاهرة للبصائر على وفق ما نزل به القرآن، فهذا الاعتبار صحيح

الثاني: الاعتبار الوجودي:
بأن يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، وينزل القرآن وفقه، وهذا ينبغي التوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن

حكم التفسير الإشاري

3 ابن العربي: في كتاب العواصم

يرى إبطال هذه الإشارات كلِّها، لأنها تقضي على المعنى الأصلي، فقد قال: "والذي تحرر لي بعد تحرير الافتكار في سبيل النظر والاعتبار أن الصريح هام في الدين، به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يُعدل بلفظ صريح معناه إلى سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان

ضوابط التفسير الإشاري وشروط قبوله

1. ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم، فيكون تأويلاً بعيدًا سخيفًا
2. ألا يُدَّعى أنه المراد وحده دون الظاهر
3. أن يكون له شاهد شرعي، يؤيده فضلاً عن ألا يعارضه معارض شرعي أو عقلي
4. ألا يعد التفسير الإشاري هو الأصل، بل هو شيء تبعي

الفئة الخامسة

تأويل المحرفين المعاصرين، أو ما يسمى التأويل الحداثي

جاء الاحتلال الفرنسي فسيطر على مصر، ثم خرج عسكريًّا، فظن الناس أنه لم يحقق أهدافه. لعل ذلك كان فيه بعض الصحة من الجهة العسكرية، ولكنك ترى أنه حقق أهدافه الثقافية بصورةٍ مدهشة، كما حققها الاحتلال الإنجليزي لاحقًا من خلال أمرين:

الأول: أنه أغرى المصريين بإرسال أبنائهم ليتعلموا من الحضارة الجديدة في الغرب أسوأ ما فيها

الثاني: أنه أوجد أتباعًا له في بلادنا من أبناء جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، وهم دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، ومن أسوأ أساليبهم أنهم يحاربون الدين بالتلاعب بنصوصه عبر التأويل المعاصر

أسس أصحاب القراءة المعاصرة

1. أنهم يخضعون القطعيِّات والثوابت الشرعية لأهوائهم التي يسمونها (علمًا)
2. أنهم يعبثون باسم اللغة العربية، فيلبسون لعبهم بمعاني النصوص لباسَ الأدب اللغوي
3. يستخدمون أصول التفسير وقواعده الأساسية في غير مواضعها
4. يتهربون من المعرفة التي تقدمها السنة المقبولة حتى لا يتقيدوا بفهم النبي للقرآن
5. يتعمقون تعمقًا "سطحيًا مخادعًا"، يدققون في المسائل ليقفوا على رأس كلمة يمكنهم من خلالها التشكيك ابتغاء الفتنة

حتى يصل المفسر باجتهاده إلى السداد -إن شاء الله تعالى- بعد تسلحه بالعلوم المذكورة في آداب المفسر عليه اتباع المنهج الآتي:

الأول أن ينظر في المعنى لغة؛ إذ نزل الكتاب المجيد بلسان العرب

الثاني

وبعد تعقله لغة لا بد أن يجمع إلى ذلك أن يطلبه في غير ذلك الموضع من الآيات في القرآن المجيد، ولا يكتفي بالمعنى اللغوي لاحتمال اللفظة العربية معانيَ متعددة

الثالث

ثم يطلب المعنى من السنة؛ لأنها شارحةٌ للقرآن، ولا يغني وجود المعنى في القرآن عن النظر في السنة قولاً أو تطبيقا أو تقريرًا

الرابع

بعد نظر المعنى في اللغة والكتاب والسنة ومأثورات الصحابة، يجب عليه أن يجتهد وسعه بإعمال تلك المصادر الأربعة معًا للوصول إلى المعنى المحدد دون غيره

الخامس

أن يردف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة، على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية، ولا يغلو أو يوغل

السادس

يقدم المعنى الحقيقي على المجازي، بحيث لا يُصار إلى المجاز، إلا إذا تعذرت الحقيقة، فيقدم الظاهر على غيره؛ فكيف يمكن معرفة المجاز دون تعقل الحقيقة أولاً؟

السابع

أن يلاحظ السياق التاريخي لنزول الآيات، ويدخل في ذلك معرفة المكي والمدني، ومعرفة سبب النزول.

الثامن أن يراعي السياق الموضعي لتلك الآية (السِّباق، واللِّحاق)

التاسع مطابقة التفسير للمفسَّر قدر الإمكان، من غير نقصٍ ولا زيادة

العاشر الإفادة مما هو معروف من علوم الكون، وسنن الاجتماع، وتاريخ البشر العام، وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن الكريم

الحادي عشر

عدم التعسف والتمحل في حمل ألفاظ القرآن على معانٍ غريبة

الثاني عشر

حمل القرآن على المعاني المتعددة، التي تدل عليها الكلمات أو الآيات ما دامت سائغة، فالأصل الجمع بينها

قانون الترجيح عند الاحتمال

❖❖ أقسام هذا القانون

الأول

❖ أن يكون أحدُهما أظهرَ من الآخر، فيجب الحَمْلُ على الظَّاهرِ، إلا أن يدلَّ دليلٌ على أن المرادَ هو الخفيُّ دون الجليِّ، فيُحْمَل عليه، وهذا الذي سُمِّي التأويل.

الثاني

❖أن يكونا جَلِيَّين، والاستعمالُ فيهما حقيقةٌ، وهذا على ضربين:

قانون الترجيح عند الاحتمال

الضرب الأول

أن يختلف أصل الحقيقة فيهما، فيدور اللفظُ بين معنيين هو في أحدهما حقيقةٌ لغوية، وفي الآخر حقيقةٌ شرعية، فالشَّرعِيَّة أولى، لأن القرآن إنما نزل لبيان الشَّرْعِ، إلا أن تدلَّ قرينةٌ على إرادة اللُّغَوِيَّةِ، ككلمة الصَّلاة.

الضرب الثاني

أصل الحقيقة فيهما واحدٌ، بل كلا المعنيين استعمل فيهما في اللُّغة، أو في الشَّرْع، أو العُرْف على حدٍ سواء، وهذا أيضا على نوعين:

قانون الترجيح عند الاحتمال

النوع الأول

أن يتنافَيا اجتماعًا، ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد، كالقُرْء: حقيقةٌ في الحيض والطُّهْر، فعلى المجتهد أن يجتهد في المراد منهما بالأمَارَات الدالَّة عليه، فإذا وصل إليه كان هو مراد الله ﷻ في حقِّه، فإن لم يترجَّح أحدُ الأمرين لتكافؤ الأمَارَات، فقد اختلف أهل العلم، فمنهم من قال: يُخيَّر في الحَمْلِ على أيِّهما شاء، ومنهم من قال يأخذ بأعظمهما حُكْمًا، ولا يَبْعُد اطِّراد وجهٍ ثالثٍ، وهو أن يأخذ بالأخفِّ، كاختلاف جواب المُفْتِين، ويوجد مِثْل هذا في آيات الأحكام كاختلاف مُجْتَهِدَين في القِبلة.

النوع الثاني

ألا يتنافيا اجتماعًا، فيجب الحمل عليهما عند المحقِّقين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، وأحفظ في حق المكلف، إلا أن يدلَّ دليل على إرادة أحدهما، كالمعنيين الوارِدَين في كلمة: ﴿عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧].